

ان التبرير المتعدد الاشكال هذا تم من وجهة نظر الطبقة المسيطرة ، لذلك فهو عاجز ان يرى نفسه كما هي لانه يتوهم انه شامل كامل ، لذلك فهو يرصد اسباب الهزيمة في عوامل خارجية ، ويرى بالتالي ضرورة تغيير وتطوير العوامل الخارجية ، اما هو كمطلق الفلسفة المثالية كامل لا يتغير وقادر على تغيير غيره ، فهو بؤرة ثابتة وما حوله عالم متحركات . لذلك فالطبقة المسيطرة عاجزة عن رؤية ذاتها ، وهذه الرؤية لا يمكن ان تتم بشكل صحيح الا من خلال نقيضها .

ميكانيكية التضليل

يتمثل التضليل باعطاء تاويل مشوه عن واقع ما لجعل الآخر غير قادر على رؤية الوجه الحقيقي لهذا الواقع ، وهي تهدف الى دعم وتأكيد هذا الواقع المشوه في جوهره ، أي انه عندما تقدم الايدولوجيا المسيطرة صورة مشوهة عنه تقوم بتصحيحه حتى يقبل كواقع عادي . فالتضليل اذن يهدف الى اعطاء صورة مشوهة عن واقع مشوه ، أي ازالة تشويه هذا الواقع بأدوات ايدولوجية .

وقد يكون التضليل عملا واعيا يرمي الى تخدير الآخر حتى لا يرى هشاشة وسوء الواقع ، فهو في الحالة هذه نمطا من الدفاع عن الذات وترميم هذه الذات ازاء الآخر .

اذا طبقنا هذا المفهوم على صحافة الهزيمة لوجدنا انها ارادت ان تغطي الوجه الحقيقي لتجليات الانظمة عند صدامها مع العدو وستقطها امامه . لذلك أخذ التضليل كل ابعاده الممكنة ابان حرب حزيران وقبيلها ، ويتمحور عمله هنا على رسم شكل العلاقة بين الانظمة العربية والعدو الصهيوني ، أي رسم صورة سلبية للعدو من ناحية ، ورسم صورة ايجابية للانظمة العربية من ناحية ثانية .

لذلك فقد رسمت الصحافة صورة العدو « الذي يعيش في حالة فزع واضطراب » (٢٧) والذي في طبيعته « كيان صنع من الجبس ليس أصيلا ولا صلبا ، ولا يستطيع أن يتغير الا اذا أنكسر » (٢٨) . وعلى هذا فان هذا الكيان بدأ يتصدع « وخطت مدن اسرائيل من الثسبان تماما كما أغلقت الفنادق أبوابها بعد ان هرب السياح » (٢٩) . وتؤكد هذه المعطيات كلها أمرا واحدا هو « ان صفحة جديدة تفتح اليوم لتكتب فيها أمنا نهاية آخر الاستعماريين والى الابد الوجود الصهيوني » (٤٠) .

لا يعجز الفكر الايدولوجي هنا عن تقدير قوة العدو فحسب ، بل يحاول ان يعملق ذاته على حساب الآخر ، فيرتكب عندئذ خطأ مضاعفا : الجهل بالذات والجهل بالآخر . فالآخر يبدو جزءا مضطربا في حين تبدو الذات « الانظمة » قوية متراصة في حركة دينامية دؤوبة ، فهناك « توزيع المتطوعين على تشكيلات السلاح » (٤١) و « التعبئة العربية عسكريا وسياسيا واقتصاديا تصل الى ذروتها » (٤٢) ، كما تبدو المعنويات في أوج حماسها « دفعة جديدة من الطيارين تأخذ مكانها . . . وقائد القوات الجوية يقول : هذه دفعة محظوظة لانها تتخرج والقوات المسلحة مستعدة للقيام بواجبها » (٤٣) ، وتأخذ اليقظة والوعي كل ابعادهما « أمر الى الطائرات المصرية المزودة بالصواريخ الموجهة ان تقوم بمتابعة تحركات حاملة الطائرات البريطانية « هيرمس » التي تعمل في البحر الأحمر » (٤٤) . أما فيما يتعلق بالوضع العربي فالوضع لا يقل حماسا ونهية « رئيس وزراء الاردن يؤكد للأنوار : سنخوض المعركة » (٤٥) و « قوات جوية وبرية تغادر العراق لتتخذ مواقعها في الجبهة الامامية ، وليبيا تعلن انها ستقطع بترونها في حال تعرض الدول العربية للعدوان » (٤٦) . وتظهر النظرة الاولى الى هذه الوقائع استعداد العرب الكامل لخوض المعركة ، وقبول كل التحديات مهما عظم شأنها « غواصتان